اهتمام المحدثين

بنقد الحديث، سندًا ومتنًا

ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم

د. محمد لقمان السلفي

رئيس جامعة ابن تيمية، ومركز العلامة عبد العزيز بن باز
للدراسات الإسلامية بالهند

دار الداعي للنشر والتوزيع

مركز العلامة عبد العزيز بن باز للدراسات الإسلامية بالهند

حقوق الطبع محفوظة

لدار الداعي للنشر والتوزيع

ومركز العلامة ابن باز للدراسات الإسلامية

الطبعة الثانية

جمادى الثاني ١٤٢٠هـ

ⓒ دار الداعي للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السلفي، محمد لقمان

اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم.- ط٢

.- الرياض

...ص، ١٤سم

ردمك: ٣-٢٢١-٣٦-٩٩٦٠

١-الحديث- دفع مطاعن ٢- الاستشراق والمستشرقون أ-العنوان

ديوي ٢٣٠ ٢٠/١٨٦٥

رقم الإيداع: ٢٠/١٨٦٥

ردمك: ٣-٢٢١-٣٦-٩٩٦٠

دار الداعي للنشر والتوزيع

ص.ب: ٣٤٢٤٨ - الرياض: ١١٤٦٨ - هاتف: ٤٥٧٦٠٨٧

مركز العلامة عبد العزيز بن باز للدراسات الإسلامية بالهند

مركز العلامة عبد العزيز بن باز للدراسات الإسلامية بالهند

جامعة ابن تيمية - مدينة السلام ٨٤٥٣٣٤ - الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تزكية علمية

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد، فمما يثلج صدري أن أسجل كلمات متواضعة عن أخينا الفاضل الشيخ محمد لقمان محمد السلفي وقد جمعتني به - ولله الحمد - ظروف علمية في خدمة السنة المطهرة.

إن كان موضوع رسالة الدكتوراه التي نالها من جامعة الإمام، اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ورد بعض مزاعم المستشرقين وأتباعهم، وشاء الله أن أكون المشرف عليه في إعداد الرسالة المذكورة. وقد لمست فيه من خلال التعامل العلمي والمتابعة اللصيقة في جمع المادة والتنقيب عنها من مظانها ثم نسخها لمستها فيه حرص طالب العلم الجاد على المعرفة، وعدم البخل بأي جهد ممكن على الاستقصاء ومتابعة الكليات والجزئيات، مع نفاذ في الرأي، ودقة في فهم النصوص، وأمانة في التعامل مع المصادر وتوثيق ما يؤخذ منها بأمانة بالغة. والمرجو منه، نأصبح علماً من أعلام السنة.

وأشهد أنه صحب ذلك كله فيما أعلم - وسرائره على الله وحده - سلامة الصدر واستقامة السلوك، والتحلي بأخلاق العلماء، وأدب طلب المعرفة بتجرد وإخلاص ولله الحمد.

وإني إذ أسجل هذه الكلمات أسأل الله مزيداً من السداد والتوفيق، وأن ينفع به في مجال خدمة السنة المطهرة والدعوة إلى الله.. ومن الجدير أن يعان على ذلك والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

١٤٠٤/٨/١٢

رئيس قسم السنة وعلومها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ. د. محمد أديب الصالح

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
قسم الحديث
كلية أصول الدين

مُقَدِّمَة الطَّبعَة الثانِيَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سئيات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لكتابي «اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً» بعد أن اشتد عليه الطلب من المشتغلين في مجال نقد الحديث وإبراز جهود المحدثين للرد على شبه المستشرقين التي أثاروها حول السنة النبوية أهميتها مكانتها في الإسلام. ولقد كان من فضل الله علي أني رجعت إلى مؤلفات المستشرقين اليهوديين «جولد زيهر وشاخت» الترجمة من الألمانية إلى الإنجليزية، وهما من هم في عالم الاستشراق؟ وبذلت جهدي المستطاع في جمع شبههما، ثم الرد عليها بالأدلة القوية الصريحة، كما يتبين للقراء الكرام، لذا أرى أن كتابي هذا ـ مع كامل تقديري لجهود فطاحلة هذا الفن ـ سيكون ـ بإذن الله ـ مفيداً لطلبة العلم الذين يعنون بالحديث النبوي والمصطلحه ومعرفة جهود المحدثين في مجال النقد سنداً ومتناً.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله نافعاً في غرضه، وأن يثقل به موازين

حسنات كل من تعاون معي في طبعه وإخراجه، إنه جواد كريم. وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإنه لا يخفى على كل من له إلمام بالعلوم الإسلامية أن السنة النبوية هي المُفسّرة للقرآن الكريم، وهي الشارحة لما فيه من الأحكام الشرعية والأمور الدينية لهداية البشرية جمعاء. وأنّه لا كمال للإسلام إلا بها، ولا يمكن العمل بكثير من الأحكام الواردة في القرآن إلا إذا اجتمع إليها بيان الرسول ﷺ.

وهذه الحقيقة الواضحة الصريحة هي التي دعت المسلمين في كل عصر من عصور الإسلام أن يسلكوا كل السبل الممكنة للحفاظ على السنة النبوية. أخذوها من الرسول ﷺ، من أقوله وأفعاله وتقريراته، وتناقلوها بينهم، وحفظوها في صدروهم، ودوّنونها في سجلاتهم، واستمر الأمر بينهم وتسلسل، من الشيخ إلى تلميذه، ومن راوٍ إلى آخر، حتى جُمعت في الدواوين التي درجت الأمة على قبولها والوثوق بها.

ولما ظهرت الفتنة السبئية ووُجد في جماعات المسلمين من لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبهم، واستحلوا الكذب على الرسول ﷺ، وخيف على السنة النبوية أن يندرس فيه ما ليس منها، استعمل علماء الإسلام الوسائل العلمية التي تكلفت المنع من تسرب الأكاذيب إلى الأحاديث النبوية.

وهذا كله معروف عند طلبة العلم، والجهود التي بُذلت في هذا الصدد مُدوّنة في الصحف، معترف بها لدى عقلاء الناس من المسلمين وغيرهم.

وكانت نتيجة هذه الجهود العظيمة أن وصلت إلى الأمة الإسلامية سُنة نبيها صافِيةً نقيةً من كل الشوائب. ولكن هذه النتيجة الناصعة الخالصة لم تُعجب أولئك الذين كان الإسلام قذىً في أعينهم، ولم يرضوا بها. وكيف يرضون، وهم الذين أرادوا هدم بناء الإسلام. والإعتراف بهذه النتيجة يعني تشييداً لصرح الإسلام وإقامةً لبُنيانه.

وقد وُجدت هذه الجماعة الرافضة لهذه النتيجة في كل عصر بعد عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وإن اختلفت في القلة والكثرة، وتنوعت أساليبها وتعددت طُرقها حسب الزمان والمكان.

ولما جاء دور الإستعمار الغربي وابتلى المسلون بالتخلف الحضاري والثقافي، اجتمعت إلى تلك الجماعات جماعة أُخرى ممن لم ينتسبوا إلى الإسلام، وهي جماعة المستشرقين التي استخدمت بلا استحياء كل الوسائل السخيفة وأباحت لنفسها الزور والبهتان على أوسع نطاق، وأغمضت عينها عن المصادر الأصلية للسنة النبوية وركنت إلى المراجع غير المتخصصة لتستقي منها شُبهها التي أثارتها حول السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليمات.

وقد تنبّه لهذه الدسائس علماء الإسلام في كل عصر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، وتصدوا لها بالرد عليها وكشف أكاذبيها، كلما رفعت رأسها.

ولم يخل هذا العصر أيضاً من أمثال أولئك الناس، في البلاد العربية وغيرها من البلدان الإسلامية، يريدون أن يُثيروا الفتنة بين الشعوب الإسلامية، ويميلوا بها عن الطريق السوي الذي هو التمسك بالكتاب والسنة والأخذ بهما نبراساً في الحياة ونوراً للاهتداء به في الأمور الدينية والدنيوية.

وقد ظهرت لعلمائنا الكرام مؤلفات مفيدة جداً في الرد على أولئك المنكرين

للسنة النبوية في البلاد العربية والإسلامية والمستشرقين كذلك، وأثبتوا أن شبهاتهم ليست إلا افتراءات وأباطيل، وأن السنة النبوية وصلت إلينا محفوظة ومصونة من كل الشوائب.

وعند دراستي لهذه الكتب النافعة تبيّن لي أنه يمكن أن تكون لي مشاركة مفيدة في الرد على الشُّبه التي تثار حول السنة النبوية والدفاع عن حياضها. لأني وجدت أن كثيرا من كتابات المنكرين للسنة والمستشرقين مؤلفة باللغة الإنجليزية والأردية، وأنا بحمد الله أجيدهما، فيمكن لي الإطلاع على شبهاتهم في كُتبهم الأصلية، والرد عليها قدر المستطاع عن معرفة تامة إن شاء الله.

ولأمر آخر أيضا، وهو أني لاحظت عند القراءة في كتابات المستشرقين ومنكري السنة أمراً خطيراً جداً، وهو ادعائهم أن المحدثين لم يعنوا بنقد متن الحديث، وأن جُلّ اهتمامهم كان يدور حول السند ورجاله، وأنّهم لو راعوا جانب نقد المتن لوجدوا كثيراً من الأحاديث التي صحت عندهم، موضوعة في حقيقة الأمر!.

وقد كرَّروا شبهتهم هذه في مئات من المواضع في كُتبهم، وكلما أرادوا رد حديث لم يُعجبهم، جاءوا بالتشنيع عليه حسب هواهم، وقالوا إنّه غير صحيح حسب النقد الداخلي.

وأمر ثالث أيضاً، وهو أنهم زعموا أن القواعد النقدية التي ظهرت في كتب مصطلح الحديث، والآراء التي دُوّنت في الكتب عن الرجال لا أساس لها منذ زمن الصحابة والتابعين، بل هي مكذوبة وموضوعة مثل الأحاديث.

ولا شك أن هذين الادعائين لا أساس لهما من الصحة، فإنّ المحدثين اهتمُّوا بنقد المتن تماماً كما اهتمُّوا بنقد السند، وأن منهجهم في النقد كان أمراً ثنائيا تضمن نقد السند والمتن كليهما. كما أن القواعد النقدية والآراء المدوّنة في الكتب حول الأسانيد ورجالهاو وُجدت مبادئها منذ زمن الصحابة والتابعين، وأنّها دُوِّنت مع تدوين السنة النبوية في صورة حواشي وتعليقات، وأنّ كلمة

«كتابة الحديث» شملتها كما شملت الأحاديث النبوية نفسها، ثم استمر الأمر وتدرجت واستقرت قواعدها حتى دُوِّنت في الكتب.

وقد تعرض عدد من علمائنا الكرام لهاتين الشبهتين، بجانب تعرضهم للشبه الأخرى المثارة حول السنة النبوية، ولكنهما ما زالتا بحاجة إلى مزيد من الإيضاح والبيان في رسالة متخصصة تُعنى بالرد عليهما رداً مقروناً بالأدلة والبراهين.

فرسالتي أقدمها بين أيديكم الآن اختصت بالرد عليهما وأرجو أن تكون حلقة علمية في تلك السلسلة المباركة التي بدأها العلماء. فقد حاولت أن تكون مناقشتي للشبهتين مناقشة علمية في ضوء الأدلة الواضحة. وبالأخص شبهة عدم اهتمام المحدثين بنقد المتن، فقد أكثرت من ذكر الأمثلة للاستدلال على أن المحدثين عُنوا بنقد المتن تماماً كما عُنوا بنقد السند. كما أثبتُّ أن القواعد النقدية والآراء المدوّنة في الكتب حول الرجال وجدت مبادئها منذ عهد الصحابة والتابعين.

وبالإضافة إلى هذا، خصّصت باباً مستقلاً لبيان أهمية الأسناد وتاريخ ظهوره وأثره في نقد الحديث، ولبيان أن المحدثين لم يكن هدفهم من اهتمامهم بنقد السند إلا الوصول إلى المتون الصحيحة، وأنه كان يعود في آخر الأمر إلى نقد المتن نفسه.

ونظراً إلى هذه الجوانب المتعددة للموضوع، اشتملت الخطة على مدخل وثلاثة أبواب وخاتمة. أما المدخل: ففي بيان جهود المحدثين المتنوعة في نقد الحديث سنداً ومتناً، موزعاً على سبعة مقاصد هامة، تتبعت فيها جهودهم النقدية منذ أن كانت بوادر أولى إلى أن أصبحت علماً متكاملاً مدونة أصوله في الكتب.

وأما الباب الأول، فهو لذكر اهتمام المحدثين بنقد سند الحديث. وقد تعرضت فيه لبيان ظهور الإسناد وأهميته وأثره في نقد الحديث، والجهود التي بذلها المحدثون لتمييز الأحاديث الصحيحة مما ليس منها عن طريق نقد الأسانيد ورجالها.

وأما الباب الثاني فقد اختص ببيان اهتمام المحدثين بنقد متن الحديث. وقد أعطيت هذا المبحث عناية خاصة كما قلت آنفاً وجئت بأمثلة كثيرة استخرجتها من بطون الكتب الأصلية في السنة النبوية، وأثبتُّ أن المتن هو الذي كان يدور حوله كل جهودهم النقدية.

وفي الباب الثالث تتبعت شبهات المستشرقين وأتباعهم حول نقد المتن خاصة، ثم جئت بالرد عليها رداً علمياً ليتضح بجلاء لكل منصف أن ما زعمه أولئك الناس من أن المحدثين لم يُعنوا بنقد المتن إن هي إلا أكاذيب وتحريف نصوص وتغيير حقائق ثابتة.

وأما الخاتمة، فقد احتوت على استعراض دقيق للدراسات التي جاءت في هذه الرسالة، وذكر النتائج التي وصلت إليها في نقاط متسلسلة، وبعض الاقتراحات التي أرجو أن تكون نافعة لتعليم الأجيال الناشئة السنة النبوية وعلومها.

وقد سعيت للحصول على كل مصدر علمي كان في إمكاني الحصول عليه، حتى بلغت المصادر التي استفدت منها زُهاء ثلاث مائة مصدر.

وكانت هذه المصادر على أربعة أنواع:

أولاً: المصادر العربية الأصلية التي ساعدتني على الوصول إلى القواعد والضوابط التي استعملها النقاد والمحدثون لنقد الحديث سنداً ومتناً.

ثانياً: المصادر العربية غير الأصلية. مثل الكتب التي ألّفها منكرو السنة باللغة العربية لنشر أكاذيبهم وأباطيلهم، وكان لابد من الرجوع إليها لمعرفة شبهاتهم من كتبهم وكذلك الكتب التي ألّفها علماء الإسلام للرد على منكري السنة والمتشرقين.

ثالثاً: المصادر الإنجليزية، وهي الكتب التي ألّفها المستشرقون أمثال جولد زيهر وشاخت وأشباههما، وكذلك دائرة المعارف الإنجليزية والمقالات التي نُشرت للمستشرقين في المجلات الاستشراقية.

كما إنني استفدت من بعض الكتب التي ألّفها بعض علماء المسلمين في اللغة الإنجليزية للرد على أولئك المستشرقين وشبهاتهم حول السنة النبوية.

رابعاً: المصادر باللغة الأردية، وهي الكتب التي ألّفها منكرو السنة في شبه القارة الهندية الباكستانية لنشر الأكاذيب كذلك كتب علماء الإسلام في تلك الديار الغيورين على هذا الدين الذين ردوا على شبهات أولئك المنكرين وأثبتوا نفاقهم في دينهم وجهلهم للغة العربية والعلوم الإسلامية.

ولا يفوتني من الذكر أن عملي هذا تطلب مني أن أقوم بترجمة كثير من النصوص من لغتين أجنبيتين، فحيناً كنت أجد نفسي مضطراً لنقل معنى الكلام على ما هو عليه مع ما فيه من الضعف في التعبير أو الركاكة في الأسلوب. وحينا آخر لم يُسعفني التعبير الدقيق لسبب أو آخر يتعلق بالكلام المترجم.

كما لا يفوتني من البيان أيضاً أن بعض النصوص تكرر في موضعين أو أكثر، لأن المقام اقتضى ذلك، فقد يكون نص واحد يُستدل به على أمرين أو أكثر كما لا يخفى على طلبة العلم.

وهذا لا يعنى، على أية حال، أني أزعم أن عملي هذا خالٍ من الأخطاء والهفوات، فإني أعوذ بالله من أن أكون من المغرورين، وإني دائماً بحاجة إلى توفيق رب العالمين ثم إلى توجيهات شيوخي وأساتذتي.

وإني لم آل جهدي الممكن في إعداد هذه الرسالة فإن وُجدت مُرضية مُوفية للغرض المنشود فهذا من توفيق الله سبحانه، وإن وُجدت فيها أخطاء أو هفوات، فإن لكل جواد كبوةً، فأرجو من القراء الكرام تفويضها إلى ما في الرسالة من الأفكار النافعة والبراهين الساطعة في سبيل الدفاع عن سنة نبيكم الحبيب المصطفى ﷺ وأسأل الله سبحانه أن يتقبل مني عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله ذخيرةً لي ولوالديَّ يوم لا ينفع مال ولا بنون. آمين يارب العالمين.

اللهم لا تُعذب لساناً يُخبر عنك ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا

قدماً تمشي إلى خدمتك، ولا يداً تكتب حديث رسولك. فبعزتك لا تُدخلني النار، فقد علمت أني كنت أذبُّ عن دينك. اللهم آمين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

❄❄❄❄❄❄
❄❄❄❄

تمهيد

الحمد لله على نعمة الإسلام والصلاة والسلام على الرسول العربي الذي أنقذ الله به البشرية من براثين الكفر والشرك. به عرفنا الله وكتابه ودينه. وبأقواله وتقريراته علمنا الشرع وتفاصيله.

ورضي الله عن الذين تلقوا عنه السنة وحفظوها في الكتب والصدور، ثم أدوها إلى من بعدهم بدقة وأمانة. وكفاهم تعديلا وتوثيقاً قوله تعالى ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾.

وعن الذين تبعهم بإحسان من أئمة الهدى والمحدثين والعلماء الذين بجهودهم المخلصة تميَّزت السنة الصحيحة عما علق بها من الكذب والزور والافتراء وبعد:

١ ـ فإن المكانة العليا التي تحتلها السنة النبوية (على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليمات) من الدين الإسلامي، ليست خافية على من له إلمام بالشريعة الإسلامية ومصادرها.

إنها أصل ثان بعد القرآن الكريم وعمود فقري بعده، لبناء صرح الشريعة الإسلامية الغراء وإنها شارحة لكلام الله ومبينة له.

٢ ـ وقد علم هذا كله الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كما عرفوا أهمية الحفاظ عليها من نبيهم ﷺ. وقد أمرهم بالتحري في كل ما ينسب إليه من الأخبار والأحداث. إذ كان بعض الكفار والمنافقين يحاولون الدس والكذب عليه ﷺ وعلى أصحابه وزوجاته. كما ورد عنه ﷺ أحاديث خوّف فيها أصحابه من الكذب عامة وشدد النكير على المتعمد عليه بالكذب.

٣ ـ ولذلك نجد الخلفاء الراشدين وغيرهم من الأصحاب أخذوا الحيطة الشديدة في قبول الأحاديث من الآخرين مخافة أن يتسرب إليها ما لم ينطق به أو صدر

منه ﷺ.

وقد سلك سبيلهم التابعون وأتباعهم والأئمة المحدثون الذين سعدوا بالجهد في سبيل الحفاظ على السنة النبوية.

٤ ـ ونظرة واحدة على ما نُقل عن الأصحاب من الانتقادات لبعض الأحاديث تجعلنا نتأكد من أن النقد الداخلي بدأ في عصرهم، وأنه كان أول علوم الحديث وجوداً، لأن الناس في عصر الصحابة كانوا على أصل العدالة، فلم تكن هناك حاجة إلى جرح الضعفاء وتعديل الثقات.

ولذا نجد: أن أهم قوانين الرواية في عهدهم هي: تقليل الرواية والتثبت منها عند أخذها وروايتها، وعرض المرويات على نصوص وقواعد الدين، حتى لا يتسرب إلى السنة النبوية ما ليس منها، خطأ أو نسياناً.

٥ ـ فلما جاء القرن الثاني الهجري وُجدت فيه طوائف أثارت الشُبه حول بعض أقوال الرسول ﷺ، من أنها لا يمكن أن تكون صادرة منه ﷺ.

ولم يكن قصدهم الدفاع عن السنة، وإنما كان هدفهم إثارة الشبه حول الأحاديث النبوية كمجموع كلي، وإيجاد البلبلة في أذهان المسلمين حتى يظن الظان منهم أن هذه الأحاديث إن هي إلا مجموعة تقولات!!

كما وُجدت فرق أخرى ضالة، ونفوس مريضة، أباحت الكذب على الرسول ﷺ. وبتقادم الزمن وبُعد العهد من رسول الله ﷺ طالت الأسانيد وقويت شبهة النسيان والغفلة.

٦ ـ وقد دعت مجموعة هذه الأسباب المحدثين إلى أن يبحثوا عن أحوال الرواة حتى يُؤخذ ممن هو عدل ويُترك من هو ضعيف أو وضاع. وجعلوا بينهم وبين من يتصدى للرواية «الإسناد»، ووضعوا قوانين لنقد السند وأخرى لنقد المتن، حتى انتهى بهم هذا التطواف الفكري حول العلل الممكن وجودها في الأخبار، والاحتمالات العقلية لنقد الحديث إلى وجود منهج نقدي شمل جوانب الحديث كافة سنداً ومتناً شمولا دقيقاً متناسقاً، وأوجد

قواعد نقدية متكاملة.

٧ ـ وقد خمدت الفتنة، وظلت في ثنايا بعض الكتب التي لا اعتبار لها في السنة وعلومها. ولم يعد من يوقظنا من مهدها ويثيرها من جديد، لأن السنن النبوية نُقِّحت وجُمعت في الدواوين واطمأن المسلمون إلى صحتها.

٨ ـ واستمر الأمر على هذا، إلى أن جاء دور الاستعمار الغربي الذي أراد أهله أن يحاربوا المسلمين عن طريق أفكارهم وعقائدهم لتحقيق أغراضهم الخفية. فأثاروا تلك الشُبه القديمة وأضافوا إليها شُبها أخرى جديدة وصاغوها صياغة تناسب أسلوب العصر واتخذوا منها نظرية. فمنهم من صرح ومنهم من ألمح في مؤلفاته، أن المحدثين إنما عُنوا بنقد سند الحديث، ولم تكن لهم أية عناية بنقد المتن.

وكانت هذه الجماعة تتألف من رجال الدين المسيحي أو اليهودي الذين كانوا من أشد الناس كُرها للإسلام وعداوة له.

٩ ـ ولعل أشدهم كُرها للإسلام وأكثرهم خبثاً وفساداً في هذا الميدان هو المستشرق اليهودي المجري جولد زيهر ثم تبعه الآخرون أمثال شاخت واسبرنجر ومارجيليوث وفينسنك وغاستون ويت. فقد عُنوا بالدراسات العربية والإسلامية لتحريف الإسلام وتشويه جماله وبلبلة المسلمين في ثقافتهم. كما سيتبين في الباب الثالث من هذه الرسالة إن شاء الله.

وقد اتسموا بسوء الظن بكل ما يتصل بالإسلام ورجاله، وأخضعوا النصوص لفكرتهم وأهوائهم، وحرفوا النصوص ونقلوا من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، ويصححون ما ينقله الدميري في كتاب الحيوان ويكذبون ما يرويه «مالك» في الموطأ!

١٠ ـ وقد صبغوا بحوثهم بصبغة علمية، وأحاطوا بثروة من الكتب والنصوص ما لم يُحِط به كثير من علمائنا في عصرهم. وكان من أثر ذلك أن أصبحت

كتبهم وبحوثهم مرجعاً للمثقفين منا ثقافة غربية والملمين بلغات أجنبية. وقد خُدع أكثر هؤلاء المثقفين ببحوثهم ووثقوا في مقدرتهم العلمية وإخلاصهم للتحقيق العلمي.

١١ ـ كما وُجدت جماعة من بين هؤلاء المثقفين من كانوا يتظاهرون باعتقادهم في الإسلام ديناً وفي القرآن والسنة مصدرين له، ولكنهم في واقع الأمر كانوا يحقدون على الإسلام، ولم يرضوا في يوم من الأيام أن يكون القرآن والسنة دستوراً للحياة.

فلما لم تجد هذه الجماعة سبيلها إلى القرآن، نظرت إلى السنة، ووجدت رغبتها تتحقق بأقوال المستشرقين وشبههم التي أثاروها حول السنة.

١٢ ـ وقد وُجد أكثر هؤلاء الناس في البلاد العربية وشبه القارة الهندية. فحينا تجاهروا بأباطيلهم وحينا آخر ألبسوها لباس البحث والتحقيق واستعاروا لها الأساليب الملتوية، ولكن غايتهم كانت تتحدد في هدم صرح السنة النبوية.

١٣ ـ ومن أهم شبههم أيضاً: شبهة عدم عناية المحدثين بنقد المتن كعنايتهم بنقد السند. فكأنهم حاكوا ما قاله المستشرقون: «إن رجال الحديث درسوا السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجَّهة إلى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض، وأنه نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ثم جمعه الحفاظ ودوهوه إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن. ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف إليه الرواة شيئاً عن حسن نية في أثناء روايتهم للحديث».

١٤ ـ وقالوا: «إن الصحابة المذاهب النظرية والعملية اخترعوا أحاديث لتعزيز آرائهم.

ولم يستطع المسلمون أنفسهم أن يُخفوا هذا الخطر. ومن أجل هذا

وضع العلماء علماً خاصاً له قيمته، وهو علم «نقد الحديث» لكي يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة. ومن السهل أن نفهم أن وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا تلك التي تجد لها مجالاً كبيراً في النظر في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا»[١].

١٥ ـ ولا يخفى مدى خطورة هذه الأفكار و فإن الأعداء عندما رأوا التراث العظيم الذي خلفه لنا الأئمة المحدثون عن الرجال وأحوالهم، والجهود المضنية التي بذلوها في جمع الصحيح من الأحاديث ورَدِّ كل ما تطرق إليه الشك، وقد رأوا الأمة المسلمة مُجمعة على قبول تلك الأحاديث الصحيحة، ومصرة على إجرائها في حياتها الفردية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، عندما رأوا هذا كلَّه قالوا ذلك الكلام الذي نقلته آنفاً ليلقوا في أذهان السذج من المسلمين أن هذه المجموعات للأحاديث النبوية وإن كانت صحيحة السند في ظاهر الأحوال إلا أن كثيراً منها تأباه العقول والأذواق وما إلى ذلك من معاييرهم السافلة.

١٦ ـ وقد انتشرت هذه الأفكار الخطيرة في البلاد الإسلامية وأصبح كثير من المارقين يزعمون أن لهم عقلا يمكن أن يحكموه ليقبلوا أي حديث شاءوا ويرفضوا غيره.

وبذلك فتحت الأبواب على مصراعيها أمام نقد السنة، فكل يُحكم ذوقه وهواه فيقبل ما يشاء ويرفض ما يريد.

١٧ ـ وقد تصدى علماؤنا الكرام للرد على هذه الشبهة، ضمن ردودهم على الشبه التي تثار ضد السنة فجزاهم الله خيراً.

---

(١) راجع العقيدة والشريعة لجولدزيهر صـ٤١، ٤٣ والتاريخ العام للديانات الإسلامية صـ٣٦٥.

ولكن تلك الردود كانت جزئية غير شاملة لجميع أطراف الموضوع.

فإن القضاء المبرم على هذه الفتنة يقتضي تقديم دراسة شاملة واعية لأصول نقد الحديث، لبيان الحقيقة الثابتة بياناً علمياً منهجياً، وهي أن أصول المحدثين لم تكن قاصرة على نقد السند دون المتن، بل الهدف كان نقد المتن، وإنما جعل نقد السند ذريعة للوصول إلى تلك الغاية الشريفة العظيمة. وسوف يتبين هذا كله في الرسالة إن شاء الله.

١٨ ـ كما أن كمال الموضوع وشموله يتطلب أن تُحصر أقوال المستشرقين حصراً وتُدرس دراسة علمية منهجية، لتبديد الظلام وكشف الحق، وبيان افترائهم وكذبهم وتحريفهم للنصوص ولتجلية الحقيقة، أنهم كذبة، استهدفوا صرح السنة النبوية واستباحوا كل زور وافتراء في سبيل تحقيق غايتهم. وأنهم لم يكونوا باحثين أمناء كما زعم الزاعمون وانخدع المنخدعون.

١٩ ـ وقد استخرت الله سبحانه وتعالى لأجل هذا الموضوع عنوان رسالتي للحصول على شهادة الدكتوراة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. فألقي في قلبي حسن الاشتغال به وسألت الله العون والتوفيق.

وقد شجعني على ذلك معرفتي لبعض تلك اللغات التي ألف فيها المستشرقون وأتباعهم. مع ثقتي التامة بأهمية الموضوع وكونه جديراً بالعناية. وقد حاولت أن أخرج بنتيجة علمية تعتبر مفيدة، وبإضافة جديدة في مكتبة الدفاع عن السنة النبوية.

وقد وجدت مصادر البحث متوفرة ولله الحمد. لأن مباحث نقد الحديث حقائق ثنائية تتعلق بالمتن تماماً كما تتعلق بالسند. ولاثبات هذه الحقيقة كان لابد من الرجوع إلى كتب المصطلح عامة فرجعت إليها، كما أن مقدمات كتب الموضوعات فيها مواد مفيدة جداً وقد تتبعتها بدقة.

وكتاب «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» للعلامة ابن القيم